ريّان الزكري والتربية القرائية

من والده الكاتب والقارئ المميز، إلى والدته، إلى مَدرَسَتِه وعدد من مدرسيه، ومنهم المعلم مروان الحواس، إلى مكتبة والده ومكتبة المدرسة، كل هؤلاء ساهموا في توجيه شخصية ريّان الزكري الطالب السعودي - من الأحساء - ذي الاثني عشر عامًا، الذي فاز بالمركز الثالث في مسابقة تحدي القراءة العربي في دورتها العاشرة.

فهذا الطالب الصغير في عمره الكبير في طموحه تمكن من قراءة أكثر من 260 كتابًا في مختلف العلوم والمجالات. وحينما سألتُه في مجلس والده الأستاذ أديب - وهو مؤلف لعدد من الكتب - عن نوعية الكتب التي يقرؤها، أجابني أنها من تخصصات ومستويات شتى، أما عن مدى استيعابه لما يقرأ فأخبرني بأنه غالبًا ما يستوعب أكثر ما يقرؤه، وما يؤكد ذلك له هو نقاشه حولها مع والديه، اللذين يزودانه بمعلومات أكثر عنها، وأحياناً مع بعض معلميه في المدرسة.

وقد لمحت فيه حين جلست معه ذكاءً واضحًا، وسرعة بديهة في الرد على تساؤلاتي حول علاقته بالقراءة، وكان مما قاله أن علاقته بها ابتدأت في سن مبكرة، حين كان يطالع كتب مكتبة والده ويطالبه بشراء كتب إضافية تناسبه، مضيفًا أن الحديث الذي يدور في البيت غالبه باللغة الفصحى، سواء مع والديه أو إخوانه، وهو ما عزز قدراته الخطابية الملحوظة.

ولا يغلق والد ريّان باب مكتبته الثرية دون أفراد أسرته، حيث يمكن للجميع ارتيادها والبقاء فيها متى أرادوا، وهو ما كان البذرة التي كانت ثمرتها أن يتقدم ابنه على نحو مليوني متسابق داخل المملكة (من أكثر من 19 ألف مدرسة)، وأربعين مليون متسابق عربي (من عشرين دولة) في هذه المسابقة المهمة.

وتشي الشجاعة النفسية لدى ريّان، والقدرة على ارتجال الموضوع الذي طلب منه على خشبة مسرح المسابقة- وكان عن شخصية الرسول ﷺ-، بخلفية واسعة لديه في مختلف المجالات؛ فقد سألتُه متى أُخبر أنه سوف يتحدث عن هذا الموضوع، فأجاب بأنهم أخبروهم بذلك قبل الصعود على المنصة بثوان فقط. فهذا الانطلاق في الحديث عن الرسول ﷺ يُخبرنا عن جهود استثنائية بذلها والداه مدة طويلة، لتربيته التربية الصحيحة، وتغذيته معرفيًا حتى يستطيع أن يشق طريقه في الحياة بطريقة مثلى، وينطلق نحو

أهدافه بجدارة واقتدار؛ ليس فقط من أجل الفوز بمسابقة، بل لكي يتبوأ مكانة مرموقة في سباق الحياة.

ويُعد فوز ريّان بهذا المركز مناسبة لكي يستلهم الأطفال والشباب منه التوجه والاندفاع نحو القراءة التي تصنع إنسانًا مبدعًا يستثمر مدخلاتها، محوًلا إياها إلى مخرجات خّلاقة تغير من الواقع إلى ما هو أفضل وأكثر إنتاجية.

ولربما فاق ما قرأه ريان عدد ما قرأه كثير من كبار السن الذين لم يقرأ بعضهم كتابًا واحدًا غير الكتب المدرسية. ولم يتأتّ َ هذا العدد الكبير من فراغ، بل كان نتيجة توجيه عائلي سديد له واستثمار عميق فيه، تحدث عنه ابن مدينته الدكتور حجي الزويد، في مقال له تحت عنوان (ريان الزكري.. شغف القراءة ومجد الوطن)، فقال: إن الاستثمار الحقيقي في الأبناء لا يقتصر على توفير احتياجاتهم المادية، بل يمتد إلى بناء عقولهم، وتنمية مواهبهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، ومساعدتهم على اكتشاف قدراتهم الكامنة، مضيفًا أن الأسرة تمثل الركيزة الأولى في غرس حب القراءة لدى الأطفال، فالطفل الذي ينشأ في بيئة تحترم الكتاب، وتشجع الحوار، وتحتفي بالمعرفة، يكون أكثر استعدادًا لتكوين علاقة إيجابية مع القراءة منذ سنواته المبكرة.

وختاماً فإن برنامج تحدي القراءة العربي، إلى جانب مهرجان أقرأ الذي يقيمه مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي (إثراء)، والبرامج الأخرى التي تحفل بها بلادنا، لهي كفيلة بأن تحفز في جيل الشباب الالتصاق بالقراءة وبعالم الكتب، في زمن يقاس فيه التقدم بهذه الأمور التي تدفع بالشباب خطوات واسعة في الدروب المتشعبة للتقدم والنماء.